

دروس من هدي القرآن الكريم

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١٤٢٢هـ

الموافق: ٢٠٠١م

اليمن - صعدة

هذه الدروس نُقلت من تسجيل لها في أشرطة
(كاسيت) وقد أُلقيت ممزوجة بمفرداتٍ وأساليبٍ
من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها
مكتوبة على هذا النحو.
والله الموفق.

إعداد: يحيى قاسم أبو عَوَاضَة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، من بعثه الله بكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين. في البداية نقول: ما نحن إلا طلاب علم، ندعو إلى الله، ونحن نعلم أننا مقصرون تقصيراً كبيراً في هذا الميدان، ونحن نستغفر الله من كل تقصير، وإن كان لنا جهد في هذا الموضوع فما نحن إلا ثمرة من ثمار من بذلوا جهوداً عظيمة أكثر منا، وأسبق منا في هذا الميدان الذي هو في الأصل واجب على كل مسلم، واجب على كل مؤمن. في هذه الآيات التي سمعناها جميعاً في صلاة (المغرب) آيات بليغة مناسبة أن نتحدث حولها ولو أطلنا قليلاً في الحديث، نرجو أن نوفق من الله سبحانه وتعالى إلى ما فيه صلاحنا وصلاحكم جميعاً.

ما أعظم كتاب الله! وما أسمى معانيه! وما أشمل دلالاته! هدى ونور، موعظة وشفاء لِمَا في الصدور، يخاطبنا بمختلف العبارات، وبشتى الوسائل؛ بحثاً عن كيف يهدينا بأسلوب عجيب. المتأمل لكتاب الله سبحانه وتعالى من هذه الزاوية يخجل أمام الله، وهو بكل وسيلة، وهو من جلّ - سبحانه وتعالى - في كبريائه، وتعالى في عظمته، يظهر حبه لأوليائه بشكل عجيب، ويدعو جميع عباده للانضواء تحت لوائه والاستجابة لندائه، ويشني دائماً على نوعية متميزة من أوليائه، ممن آمن به، وأمن برسله وكتبه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نُولِئُكُمْ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢) الذين قالوا ربنا الله، ليس فقط بألسنتهم، بل إيمان بقلوبهم، بكل مشاعرهم، إيمان بالله سبحانه وتعالى، إقرار بعبوديتهم لله، استسلام كامل لله.

﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ربنا الله وحده لا شريك له، لا نعبد سواه، وعندما يقولون: ربنا الله، هم يفهمون ماذا تعني هذه الكلمة: أنه هو وحده الذي يملك حق تدبير شؤوننا في هذه الحياة، هو وحده الذي يملك حق الأمر والنهي فينا في هذه الدنيا، فلا أحد سواه باعتبارنا عبيداً له هو الذي خلقنا، هو الذي رزقنا، هو الذي مهد لنا هذه الأرض التي نعيش عليها، نحن مملوكون له بكل ما تعنيه الكلمة، لا أحد سواه يملك أن يشرّع لنا، لا أحد سواه يملك أن يتحكم كما يريد في شؤوننا، يأمر وينهى كما يريد في مختلف مجالات حياتنا؛ لأن الربوبية هي من التربية، الله هو الذي ربانا، ويربينا باستمرار، هو الذي يقوم بتدبير شؤوننا، هو القيوم على كل أمورنا.

ما أكثر من يقولون: الله ربنا، ولكن يدينون بالولاء لتشريعات بعيدة عن الله، لأنظمة بعيدة عن الله. هذا إقرار يناقضه العمل، أما الذين يقولون: (ربنا الله) بفهم كامل لهذه الكلمة فهم قليل من عباد الله سبحانه وتعالى، هي كما سبق تعني: العبودية المطلقة لله، وفهم معنى العبودية ماذا يعني أنني عبد لله، أطيع الله فيما أمر ونهى، أعمل على كسب رضا، أحبه وأتولاه، أكون من حزيه، أكون من جنده، أكون من أوليائه، أستقيم، أستقيم على هذا النهج، أفهم تعامله معي - سبحانه وتعالى - كعبد له في هذه الدنيا أنه لا بُد أن يبتليني بتكاليف متنوعة، ما بين شاق على نفسي، أو شاق على جسمي، وما بين سهل، ما بين صعب عليّ باعتباره مخالفاً لهوأي، أو لمصالح الشخصية، أو لأي اعتبار آخر من الاعتبارات الدنيوية، وبين ما هو بعيد عن هذا الاعتبار. جهل كثير من الناس بمعنى تكليف الله لهم، جهل كثير من الناس بمعنى عبوديتهم لله تخلق إشكالات كثيرة جداً جداً، تؤدي في الأخير إلى مجرد الإقرار، الذي لا يتوافق معه العمل، ولا يتوافق معه حتى الاعتقاد... أن أعلم بأنني عندما أقول: إني عبد لله، وأقر بأن الله ربي، فإن الله لا يكتفي مني بهذا، بل لا بُد أن يمتحنني، لا بُد أن يبتليني؛ ليتبين مصداق ما أدعيه، ويتبين استقامتي وثباتي على ما أدعيه.

وبالطبع تأتي الابتلاءات في مجالين: ابتلاءات فيما نجب من الناحية المادية، وابتلاءات فيما يتعارض مع مطامعنا من الناحية المعنوية، ومع شعورنا وحب الاستعلاء لدينا من الناحية المعنوية.

لو كان التشريع، لو كان الابتلاء الإلهي لا يتناول هذه المجالات التي هي محك حقيقي، ودليل حقيقي على الصدق من الكذب، لكان كل الناس يدّعون الإيمان ويدّعون العبودية لله. لكن لا ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩) لا بُد من الابتلاء

﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٢٥-٢٦).

[ابتلانا الله سبحانه وتعالى - فيما يتعلق بالجانب المالي - بابتلاوات كثيرة] ما أوسع إطار التشريع في الجانب المالي بدءاً من الزكاة و انتهاءً بالإنفاق في سبيل الله! وكم ارتبط بالمال من تشريعات، وكم اتجه إلى قضية المال من آيات تحت على الإنفاق، وتعدُّ بالأجر المضاعف على الإنفاق، وتحدث عن الإنفاق بأنه دليل مصداقية المؤمن، وتحدث عن بذل المال بأنه وسيلة من وسائل تزكية الروح وسموها ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧) ومما رزقناهم ينفقون، ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

وهكذا يسير القرآن يتحدث عن قضية المال؛ لأنه من الممكن أن يبتليكم الله بالصلاة مثلاً، وإن كانت الصلاة لها مقام سام عند الله سبحانه وتعالى فيما إذا أدت بالشكل المطلوب، وبالتوجه الكامل تترك أثراً كبيراً، لكن لو نأتي إلى عمل استبيان لنا كمسلمين، كم نسبة المصلين؟ وكم نسبة المنفقين من بين المصلين؟ سنجد المصلين بنسبة ربما ٧٠٪، المنفقين ربما لا يكونون بنسبة ١٠٪؛ لأن الصلاة لا تكلفنا في مالنا شيئاً، الصلاة ست دقائق، وأنا أدت أربع ركعات كاملة بدون أن أخسر شيئاً، لكن المال؛ لأنني أحبه حباً شديداً يمكن أن أتلأ، يمكن أن أتكرر، كثير من الناس حتى الزكاة المفروضة يلف ويدور ويصول ويجول حتى يلبسها ومصارفها موجودة بين يديه.

فريضة من أعظم الفرائض، فريضة هي ركن من أركان الإسلام اتجهت نحو المال هي الزكاة، واجب من أهم الواجبات هو نصر دين الله مرتبط بالمال أيضاً، واجب من أهم الواجبات هو العمل على نشر دين الله والدعوة إلى إصلاح عباده مرتبط بالمال أيضاً لدرجة أن الله سبحانه وتعالى قال عن صفات المؤمنين فيما يتعلق بالجانب المالي وفيما يتعلق بالجانب النفسي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ بأن لهم الجنة ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ١١١) يقاتل بنفسه وماله.

المؤمن الصادق في إيمانه يصل به الحال إلى هذه الدرجة: أن يبذل نفسه، ويبذل ماله مهما كان عزيزاً لديه، مهما كان محبوباً لديه، يبذله في سبيل الله، لماذا؟ الله طلب منا أن ننفق وله خزائن السموات والأرض، وهو القادر على أن يمول ما يريد بدون أن يطلب منا نحن أن ننفق؛ لأن القضية هي مرتبطة بنا، قضية ابتلاء، وليست قضية استعانة منه سبحانه وتعالى بنا، قضية ابتلاء لنا: هل نحن صادقون في إيماننا؟ هل نحن صادقون في عبوديتنا لله؟ إذاً سنطبق ما يريد منا حتى وإن كان فيما يعز علينا ستمثل، سنطبق، سننفذ.

ولذلك الله خاطبنا في هذا المجال في القرآن الكريم بأسلوب عجيب سمّاه قرضاً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥) استقراض؛ لأنه يعلم أننا شديداً الحرص على المال، فلم يكتف سبحانه وتعالى - لأنه رحيم بنا - لم يكتف أن يبتلينا في المال فقط، وهو قادر على ذلك يقول: أنت أنفق، أد الزكاة، بل دفعنا بلطفه، برحمته إلى أن نلتزم في هذا الجانب فنطبق، ونبرهن على صدق إيماننا، فأحاط مسألة المال بكثير من الترغيب.

أولاً: سمّاه قرضاً، وهو الغني، هو ملك السموات والأرض، يقول للعبد من عباده: أقرضني، اعتبر هذا المال الذي أريد منك أن تنفقه في سبيلي، أو على مسكين من عبيدي، أريد منك أن تعتبره قرضاً لدي، وأنا ملتزم أن أرد إليك ما أقرضتني مضاعفاً! ﴿فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ أليس هذا من رحمة الله بنا؟ أنه يشجعنا على تنفيذ هذا الواجب الذي هو صعب على نفوسنا.

يقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١) يعدُّ بمضاعفة إلى نحو سبعمائة ضعف، ريال تنفقه في سبيل الله يتضاعف لك أجره إلى نحو سبعمائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إلى ما هو أكثر من هذا المقدار، ويعدُّ بشكل صريح ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (سبا: ٣٩) ﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠).

نلاحظ كيف أنه برحمته - سبحانه وتعالى - يدفعنا إلى أن ننفذ هذا الواجب الشديد على نفوسنا بترغيب كبير كبير جداً جداً، يسميه قرصاً سيرده "مثني، مثلوث، معشور" وعد بأنه سيخلف فعلاً، ما أنفقتة سيرده عليك في هذه الدنيا بطريقة أو بأخرى، وإن لم أكن أعلم، أو أستطيع أن أعرف من أين سيأتي تعويض ما أنفقت، يعدني بمضاعفة الأجر إلى سبعمائة ضعف، وإلى ما هو أكثر من ذلك، ومع هذا لا تزال نسبة المتزمنين بهذا الأمر الإلهي الهام - على الرغم من كل هذا الترغيب الكبير - لا يزال نسبة قليلة جداً من الناس أقل بكثير من نسبة المصلين، أقل بكثير من نسبة الصائمين؛ لأن المال محك ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (النجم: ٢٠) ودليل على صدق العبودية، ودليل على صدق الإيمان، بل جعله صفة من صفات المؤمنين، المؤمن الذي يتصور بأن بإمكانه أن يكون مؤمناً والجانب المالي لا أحد يمسّه غير صادق في إيمانه أبداً، غير صادق في دعواه للتقوى. فالابتلاء في هذا المجال كان بهذا الشكل.

ابتلانا أيضاً فيما يتعلق بالجانب المعنوي باعتبار الإنسان يحب التتالي، والسمو، والرفعة، ولا يريد أن يرى فوقه من هو أعلى منه، لا يريد أن يرى فوقه من هو أعلى منه، ولا يريد أن يبصر فوقه من يمكن أن يدين له بالفضل عليه، أو بأنه أفضل منه، هذه تناولاتها ابتلاءات كثيرة جداً، هذا المجال تركيعي، تركيعي كعبد لله سبحانه وتعالى، أحطم كل هذا الكبرياء ابتلاءات كثيرة منها الحج، الحج ماذا يعني؟ أليس هناك بيت من أحجار في مكان محدد؟ أحجار، وهناك مواقف أخرى، عرفات، منى، مزدلفة، مواقع محددة، أماكن ترمي فيها أحجاراً، أماكن لازم أن تبني فيها، بيت لا بد أن تطوف حوله، مسعى لا بد أن تتحرك فيه، من هذه الصخرة إلى هذه الصخرة.

أيضاً هذا ابتلاء يتجلى مدى صدق ادعائي العبودية لله، أنا لا يمكن أن أقول: لماذا يأمرني أن أطوف حول هذه الأحجار؟ ما قيمتها؟ ما فائدتها؟ ما أهميتها؟... وهكذا... إلى مجالات أوسع فيما يتعلق بهذا الجانب، جانب تحطيم الكبرياء التي تتعارض مع ما تتطلبه العبودية من تسليم لله سبحانه وتعالى. مع ما يقتضيه الإقرار بالعبودية لله من تسليم كامل لله سبحانه وتعالى.

إذا فندما تقول: ربنا الله، يجب أن أفهم بأن معنى هذا: أنني عبد له، وأنا أعلم أنه سيبتليني في مالي، وفي الأشياء المعنويات لدي، سيبتليني بالأشياء المعنويات لدي.

عالم من علماء بني إسرائيل ابتلي وسقط في الامتحان، واهتز، وضرب الله له مثلاً سيئاً: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾ (الأعراف: ١٧٦) لأنه لم يرتج لموسى أو يدين بالفضل لهذا الشخص، فهو معتز بأنه عالم، بأنه كذا...

عبد الله بن أبي، لماذا تحول إلى منافق، وزعيم للمنافقين أيضاً؟ لماذا؟ ابتلي من هذا النوع من الابتلاء، كان قبل أن يصل رسول الله ﷺ (صلى الله عليه وسلم) ويتفق مع مجموعة كبيرة من سكان المدينة ممن أسلموا على أن يهاجر لديهم - كانوا قد اتفقوا قبل وفي وقت من الأوقات على أن يتوجهوا ملكاً عليهم، على الأوس والخزرج، جاء محمد بن عبد الله ﷺ (صلى الله عليه وسلم) وأخذ الوجاهة كلها، واتجه الناس نحوه، نبي يوحى إليه، تجب طاعته، طاعته من طاعة الله.

هذا الشخص كان قد أحب الكبرياء والملك والعظمة، وأن يتوج كملك على قبيلتين كبيرتين: الأوس والخزرج، ماذا عمل؟ لو أنه أدرك المسألة، واستسلم لله، وآمن؛ لأنه ما قيمة هذا الملك الذي كنت أطمع فيه، وهذا التاج الذي كنت أرغب فيه، وهذه الكبرياء التي كنت أريد أن أصل إليها؟ ما قيمتها مع نعمة بين يدي نبي أعيش معه، نبي أطيعه، نبي ألتزم بأوامره، يوحى إليه مباشرة من الله سبحانه وتعالى؟ لكنه أيضاً سقط في الامتحان، ونسي أنه عبد لله، وتحول إلى شخص يكيد، ويمكر، ويعمل بكل وسيلة لمحاربة رسول الله ﷺ (صلى الله عليه وسلم) والدعوة الإسلامية، فاعتبر منافقاً بل كبير المنافقين، وأصبح مذموماً عند المسلمين جميعاً.

إبليس نفس الشيء تعرض لامتحان من هذا النوع، من هذا النوع، تجد أنه كان في صفوف الملائكة نحو من ستة آلاف سنة يعبد الله سبحانه وتعالى، لكن حتى الملائكة أنفسهم يتعرضون إلى ابتلاء من هذا النوع، وحتى الأنبياء أنفسهم يتعرضون إلى ابتلاء من هذا النوع، الابتلاء الذي ينسف التتالي، ينسف التتالي، استسلام كامل لله سبحانه وتعالى، الله لما خلق آدم أمر الملائكة كلهم أجمعين بالسجود لآدم، الملائكة يحملون عقولاً كبيرة،

ووعياً، وفهماً، ويعرفون معنى عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، استجابوا، استجابوا، لم يقولوا: هذا خلق من تراب ونحن خلقنا من نور، والنور أفضل من التراب، ولا يمكن، و... و... لا، إبليس وحده استكبر، استكبر، ورفض أن يسجد لآدم بعد أمر الله سبحانه وتعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (ص: ٧٤).

سقط في الامتحان أيضاً وكذب في ادعائه العبودية لله التي ظل عليها ستة آلاف سنة، فترة ليست قصيرة، ليست بسيطة، تفلسف لنفسه بما يعزز لديه الشعور بالتعالي، الاحتفاظ بشعور التعالي لديه! ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف: ١٢) لا يمكن، واقنع بهذا المبرراً

الإنسان نفسه قد يصل إلى هذه الحالة، قد تقف أمام تشريع إلهي، أو ابتلاء إلهي من هذا النوع، فتأتي لتتفلسف لنفسك، وتخترع مبرراً معيناً تكرر على ذهنيك، وتقنع به^(١) اقتناعاً سطحياً؛ لتحتفظ بما، توجهه الابتلاء الإلهي إلى ضربه.

[عندما تسير على النهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لك فتشعر] بعظمة الله، أنت تسير في طريق التكامل نحو الله سبحانه وتعالى؛ لأنك عبّدت نفسك لله، وكل ما يشرعه الله لك إنما هو من أجل تكريمك، حتى هذا الذي يبدو لك في الصورة وكأنه إذلال لك، إنه تكريم في النهاية، إنه تكريم في النتيجة، لكن العكس هو الدلة أن أتعالى، وأرفض، أقول: لا، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ماذا كانت النتيجة؟ ألم يطرد إبليس؟ ألم يلعن؟ ألم يلعنه أولياؤه وأعداؤه من البشر؟ ويظل ملعوناً طريداً منذ أن ارتكب هذه المخالفة إلى يوم الدين، يُذكر بشيطان رجيم، ملعون في الدنيا وفي الآخرة، هل اعتر إبليس؟ هل بقيت له مشاعر العظمة؟ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ أم أن الله نسف كل هذه العظمة، وألزم كل عبيده بلعنه وطرده من السماء ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا﴾ (الأعراف: ١٨).

هكذا الابتلاء، نحن لا بُد أن نسلّم أنفسنا لله، عندما نقول: (ربنا الله، ربنا الله) وفي نفس الوقت نستقيم ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ ثم استقاموا، أن أقول: (ربي الله) بإقرار هو تسليمي، والشعور بالتسليم هو حالة نفسية، أنا من داخل أعماق نفسي أقر بعبوديتي لله، وأسلّم نفسي لله، وأقبل أيّ تشريع من الله، سواء توافق مع مصالح، أو خالفها، سواء توافق مع رغباتي، أو خالفها، سواء انسجم مع كبريائي، أو خالفها، أنا عبد لله، أسلّم، هذا لا بُد أن يكون منطلقاً من داخل مشاعرك، ثم تستقيم ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فست: ٣٠) الاستقامة على ما أمرك الله به، الاستقامة على ما تعبدك الله به، الاستقامة على النهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لك.

الاستقامة قضية مهمة؛ لأنه في ميدان الابتلاءات يحصل اهتزازات عند تضارب الفتن، وتزاحم الأقوال، والآراء، والاختلافات، تحصل اهتزازات كثيرة للإنسان، كثير من الناس عندما يتعرض لابتلاءات يتخلى عن كل شيء، وينحرف عن خط الاستقامة، ينحرف عن خط الاستقامة، الاستقامة نفسها قضية مهمة، الله سبحانه وتعالى أمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ ثَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢) استقم أنت يا محمد؛ ليقول لنا سبحانه وتعالى بأن كل شخص من عبيده يجب أن يستقيم كما أمر، وأنه لا يجوز له أن يطفئ، إذا طغى سيعاقب، إذا طغى سيعذب سواء كان نبياً، سواء كان ابن نبي، سواء كانت زوجة نبي، سواء كان صاحب نبي، كأننا من كان، ليس هناك أحد فوق أن يكون مستقيماً لله.

محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) أفضل الأنبياء يقول الله له: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ ثَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمَسُّكُمُ النَّارُ﴾ (هود: ١١٢، ١١٣) يهدد محمداً (صلى الله عليه وسلم) (صلى الله عليه وسلم).

نحن فيما بيننا نتأول أحياناً لبعض أشخاص؛ لأننا ربّيناً على توليهم، أو قالوا لنا: (عظماء، ليست مشكلة إذا حصل مخالفة، ليست مشكلة منه). لا، يجب أن نحكم على الناس بحكم القرآن، وأن تكون نظرتنا إلى الناس جميعاً هي نظرة القرآن، أنه ما دام وقد أمر محمد بأن يكون مستقيماً فلا بُد أن يستقيم كل الناس، وأنه ما دام وقد هدّد محمد (صلى الله عليه وسلم) فيما إذا انحرف عن الاستقامة بأن يعذب؛ إذا فكل الناس كأننا من كان،

سواء كان صحابياً، أو من أهل بيت رسول الله، أو من عامة الناس، أو خاصتهم، ليس أحد فوق هذا الحكم إطلاقاً. الاستقامة في هذه الدنيا على شرع الله، وعلى نهج الله، تحتاج إلى عدة عوامل حتى توفر لنفسك خط الاستقامة، أولاً: أن يكون قوي الصلة بالله سبحانه وتعالى، دائم الالتجاء إلى الله في كل المواقف، في كل الابتلاءات، في كل حياتك، دائم الرجوع إلى الله، أن تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرزقك الصبر؛ لأن الاستقامة تحتاج إلى الصبر، الاستقامة تحتاج إلى الصبر؛ ولهذا جاء في الحديث الشريف: ((بأن موقع الصبر من الإيمان كموقع الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس فيه))، أيضاً لا خير في إيمان لا صبر فيه. الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، عندما نتأمل في كتاب الله كيف كان من وصفهم بأنهم عباده، وأولياؤه، دائمي الرجوع إليه، دائمي الدعاء له ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ (البقرة: ٢٥٠) ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨) في آخر سورة (البقرة) ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٦) يا إلهي أنت تعلم أنني عبد ضعيف، أرجو منك ألا تعرضني لابتلاء أهتز معه، وأنا حريص على نهج الاستقامة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْزِرْنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

أول شيء الرجوع إلى الله، الالتجاء إلى الله، والإنسان بحاجة إلى أن يكون دائم الدعاء لله في هذا المجال خاصة تدعو الله بالتوفيق، تدعو الله أن يرزقك الاستقامة، تدعو الله أن يرزقك الصبر؛ لأن كل أمورنا وكل شؤوننا في هذه الدنيا كثير منها يعرضنا للانحراف عن خط الاستقامة، كم يمر الإنسان في حياته بمواقف، وكما نرى من أناس كثيرين ينحرفون عن خط الاستقامة في كثير من مواقفهم، هذا أول شيء.

الشيء الثاني: أن تعلم أولاً ما هو النهج الذي يريد الله منك أن تستقيم عليه، يكون لديك معرفة طريق من أستقيم عليه؟ مع من أستقيم؟ تحت راية من أستظل؟ هذا الشيء لا بد منه، عقائد معينة أعرف أنها صحيحة، أستقيم عليها، معاملات معينة أعلم بأنها صحيحة أستقيم عليها، سلوك معين في هذه الحياة أعلم بأنه صحيح أستقيم عليه، لا بد من المعرفة لخط الاستقامة، ولنهج الاستقامة حتى أسير على هذا النهج، ولا يبقى لي إلا أن أصبر نفسي عليه، أنا واثق منه، ولم يبق عندي إلا أن أرجع إلى الله أن يثبتني عليه.

الاستقامة معناها على صراط الله المستقيم، ألسنا نقرأ في صلاتنا، وشرع في الصلاة واجباً لا تقبل الصلاة بدون (فاتحة الكتاب) لأن فاتحة الكتاب مهمة جداً جداً، معانيها عظيمة جداً جداً، في هذا الموضوع بالذات، نقرأها في كل صلاة فريضة أو نافلة، نكررها في الصلاة مرتين أو أكثر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ١-٥) إياك نعبد وإياك نستعين ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٦-٧). في آخر هذه السورة، في نصفها الأخير، نصفها الأخير إقرار بالعبودية لله: إياك أعبد، لا أعبد سواك، وبك أستعين على أن أعبدك، وأن أستقيم على عبادتك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (نستعين) في هذه السورة معناها الأساسي هو: الاستعانة على أداء عبادة الله، أكثر من الاستعانة في شؤون الحياة الخاصة الدنيوية؛ لأن الكثير من أعمال الدنيا، وكثير من تدبير أعمال الدنيا الله خلق لنا قدرة على ابتكار الكثير من الآلات التي تساعدنا وتعيننا على تيسير أعمالنا الدنيوية، خلق لنا الثور، وابتكرنا المحراث لنحرث، نستطيع أن نحراث (الحربة) الفلانية وأسهل علي من أن أبدأ أشتغلها بيدي من طرفها إلى طرفها.

أبتكر الإنسان كثيراً من الوسائل التي أعانته على شؤون حياته الخاصة في بناء البيوت، في بناء المساجد، في بناء المدارس، في التواصل فيما بينهم، في الوصول إلى المسافات البعيدة.. ابتكر الإنسان كثيراً من هذه الوسائل، فعبارة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في (الفاتحة) هي تعني بشكل أساسي أن نطلب من الله أن يعيننا على أداء عبادته، وعلى تعبيد أنفسنا له.

ثم تتجه السورة بشكل دعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ونكرر دائماً اهدنا الصراط المستقيم، اهدنا الصراط المستقيم، كل يوم، كم تقرأها هذه؟ على أقل تقدير عشر مرات، أقل تقدير عشر مرات، إذا كنت فقط تصلي خمسة فروض في كل فرض تقرأها مرتين، عشر مرات، ناهيك عن النوافل، والوتر، وسنة المغرب، وسنة الفجر،

وسنة الظهر... ومع هذا لم نلتفت مرة من المرات إلى ماذا يعني، ماذا يعني أن تُشرع سورة (الفاحة) التي فيها هذا التكرير الدائم على مسامعنا كل يوم ما يقارب من خمس عشرة مرة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دعاء بالاستقامة أن يهديني إلى صراطه، صراطه الذي هو صراط مستقيم؛ لأستقيم عليه.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على أساس أن صراط الله المستقيم لا بد أن يكون له معالم من عباده، لا بد أن يكون له معالم من أوليائه فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أنا لا أريد أن أنحرف إلى صراط المغضوب عليهم، ولا أريد أن أنحرف إلى صراط الضالين. الضالون هم: الذين ينحرفون بدون معرفة، عقائد باطلة. المغضوب عليهم هم: الذين ينحرفون بعلم ويدعون إلى باطل وهم يعلمون ذلك، مغضوب عليهم: مسخوط عليهم.

بعض الناس يفسرونها بتفسير، تفسير يفصلنا عن هذه السورة تماماً بأن المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصاري! المغضوب عليهم والضالين هما خطآن يسيران في الحياة باستمرار، وما من عصر إلا وفيه من يسرون على الصراط المستقيم، ما من عصر، ما من زمن إلا وفيه من أنعم الله عليهم بالسير على الصراط المستقيم، وفيه من هم مغضوب عليهم، وفيه من هم ضالون، في كل عصر؛ لهذا الله أوجب علينا كمسلمين أن ندعوه دائماً ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ.

نحن قد قطعنا علاقتنا مع اليهود تماماً، ونحن لا نسير على خط اليهود العقائدي أبداً. إذاً فنحن بحاجة ماسة ومستمرة. على أساس أن في هذه الدنيا مغضوباً عليهم وضالين دائماً. ونحن نشاهد مواقف وتشريعات ودعوات ضالة، نشاهد أشخاصاً يعلمون الحق ويكتمونه، مغضوب عليهم، وضالين.

نحن نريد من الله سبحانه وتعالى بدعائنا في هذه السورة باستمرار أن يهدينا صراطه المستقيم ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يدل على أهمية القضية، على أهمية الموضوع، أننا بحاجة دائمة وماسة إلى الله، أن تتجه إليه أن يهديك في كل مواقفك. أنت ستمر حتى في مواقفك غير التشريعية بمواقف فيها حق وباطل تحتاج من الله أن يوفقك إلى الحق في هذا الموقف الذي أقفه، أي موقف كان من شؤون الحياة.

هذه هي الاستقامة التي لا بد من توفير الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، ومن المعرفة بخطئها حتى نسير عليها. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا، وأن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجعلنا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن يعيننا على الاستقامة، وأن يوفقنا إلى الاستقامة، إنه على كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت أمريكا / الموت إسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ١٨ من ذي الحجة ١٤٣٧ هـ
الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦ م

الدروس من سورة آل عمران	الدروس الأولى ٢٠٠٢/١/٨	الدروس الثانية ٢٠٠٢/١/٩	الدروس الثالثة ٢٠٠٢/١/١١	الدروس الرابعة ٢٠٠٢/١/١٢
دروس من سورة المائدة	الدروس الأولى ٢٠٠٢/١/١٣	الدروس الثانية ٢٠٠٢/١/١٤	الدروس الثالثة ٢٠٠٢/١/١٥	الدروس الرابعة ٢٠٠٢/١/١٦
دروس معرفة الله				
الثقة بالله - الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ٢٠٠٢/١/١٧	﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣	لتحذرن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩	﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجَنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٢/٨	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٢/٩	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٢/١٦	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٢/٢٣
﴿وَمَخْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٢/٢٦	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٢/٨/٢٩	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ
الموالاتة والمعاداة ١٤٢٣هـ	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الوحدة الإيمانية	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
من نحن ومن هم				
دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٨/٥/٢٠٠٣ إلى تاريخ ٢/٦/٢٠٠٣				
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١-٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠-٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧-١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤-١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١١٥-١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦-١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٨٧-٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١٥-٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢٥٣-٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات (٢٧٥-٣٢٢) من البقرة- من آل عمران ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣-٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢-١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١١٦-١٦١) آخر السورة ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١-٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣-١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥-آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١-٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧-٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥-آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١-٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩-١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣-آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١-١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨-١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣-آخر السورة) ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ



